حوليات آداب عين شمس (عدد خاص ٢٠١٧)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

رعاية الملوك وأثرها على تطور الخط

إيمان مختار سعيد*

معيدة بكلية الآداب جامعة عين شمس –قسم اللغات الشرقية وآدابها

المستخلص

يتناول هذا البحث الدور الكبير الذي لعبه ملوك وأمراء العصريين التيمورى و الصفوى في تطوير" فن الخط". فقد لعب فن الخط دورًا بالغة الأهمية في الحياة الفنية؛ حيث ارتبط بكتابة المصحف الشريف فأكتسب قدسية خاصة به.

وقد قسمت الباحثة هذا البحث إلى مقدمة وقسمين، يتناول القسم الأول العصر التيموري، والقسم الثاني العصر الصفوي؛ حيث تعرض الباحثة في كل قسم ازدهار الحياة الفنية وتطور فن الخط مع ذكر أهم الخطاطين في تلك الفترة وعرض لأهم أعمالهم.

وقد اتبعت الباحثة المنهج التاريخي كما اعتمدت على المصادر والمراجع الفارسية والعربية.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

مقدمـــة:

تعد فنون الكتاب الإسلامي من الفنون الإسلامية المهمة،حيث اشتملت هذه الفنون على فن التصوير وفن الخط وفن التذهيب. فيعد فن الخط من الفنون الهامة في التاريخ الإسلامي.فهو أحد الفنون التي ولدت وترعرعت في ظل الكتابة العربية ضمن أطار الحضارة الإسلامية.فقد دخل الخط مع ظهور الإسلام مرحلة من التطور السريع.

كما انه ارتبط بكتابة المصحف الشريف فكان المحرك الأول لتطور هذا الفن. اذ نجد الفنان المسلم منذ البداية أهتم بهذا الكتاب المقدس. وكان من أهم مظاهر الاهتمام به تجويد الخطوط التي يكتب بها هذا المصحف وابتكار الكثير من أنواع الخطوط.

ومن هنا لعب ذوق وظرف الأمراء ورجال الدولة في هذا الشأن دوراً كبيراً.فكانوا يجدون في النسخ والخط شرفاًوبركة، فهم يعتزون بالقرآن الكريم. فأهتموا كثيراًبالخطاطين وتقديم الهدايا والعطايا لهم.مما كان له أثر عظيم على تطور فن الخط. وسوف يتناول البحث عصرين من أهم العصور الذهبية التي كان لها دور كبير في ازدهار الفنون هما***العصر التيموري والعصر الصفوي.***

منهج البحث

لقد اتبعت الباحثة في هذا البحث المنهج التاريخى

أهداف البحث:

١-تسليط الضوء على الدور الكبير الذي لعبه ملوك وأمراء العصريين التيموري والصفوي في تطوير" فن الخط". وهوما يمثل بدون شك من أهمية في التعريف بهم وبدورهم العظيم في ازدهار الحياة الفنية الإيرانية.

٢-التعريف بـ "الكتبخانه "ودورها الكبير في تطور فن الخط وغيره من فنون الكتاب.

٣-تسليط الضوء على بعض الملوك الذين اشتهروا كخطاطين وعلى اعمالهم.

تمهيد:-

أسهم عدد من السلاطين والأمراء والوزراء وعظماء الإسلام –لا سيما من كان فارسي الأصل- في ترويج فن الخط ونشره وعد كثيراً منهم في زمرة الخطاطين.

فإن ما حظي به الخطاطون من رعاية الخلفاء والأمراء كان جزءًا من سياستهم الرامية إلى إبراز عظمة الدولة في شتي المجالات ومنها الفنون والعمارة والخط والزخرفة [١].

فالعناية بجودة الخط أمر طبيعي في الإسلام، كان الخطاطون أعظم الفنانين مكانة في العالم الإسلامي عامة وفي إيران خاصة لاشتغالهم بكتابة المصاحف ونسخ كتب الأدب والشعر التي كان يحبها الإيرانيون ولأن رجال الدين كانوا راضين عنهم. لذا تقدم فن تحسين الخط [٢].

كما لعب ذوق وظرف الأمراء ورجال الدولة في هذا الشأن دوراً كبيراً، فقد كانوا يجدون في النسخ والخط شرفاً وبركة ومجداً، فهم يعتزون بنسخ القرآن الكريم مسترشدين بتوجيهات كبار الخطاطين مثلما فعل (عضد الدولة البويهي والشاه طهماسب)، بل كان الأمراء منهم يتسابقون لمساعدة الخطاطين بأن يمسكوا لهم بالمحبرة أو يقدموا معونة بوضع الوسادة مكانها أو بإمساك الشمعدان للإنارة للخطاط أثناء عمله. بالإضافة إلى قيام رعاة الفن من الحكام والأمراء بتشييد مجامع فنية وأدبية تزخر بالعديد من الفنانين وأرباب الحرف الذين تم تجميعهم من أماكن مختلفة لكي يعملوا في شكل مجموعات تاركين ميراثاً

فنياً خالداً من المخطوطات المصورة والأعمال المكتوبة والتي لا تزال تزخر بها مكتبات العالم إلى اليوم.

يقول "الثعالبي"[٣] في كتابه"آداب الملوك"[٤] في (كون الملوك أسباباً لظهور ثمرات العلوم والآداب ولطائف الصناعات):

"من حسن آثار الملوك، ويمن حدودهم، واتصال السعود بهم،ووقوف الآمال عليهم وانصراف الرغبات إليهم، أن حكماء البلاد وعلماء الملك ورؤساء الصناعات يخدمونهم بنتائج أفهامهم، ويتقربون إليهم بثمرات عقولهم ويتأنقون فيما يستخرجونه أو يصنعونه بأسمائهم، فلا تكاد غرة كريمة أو حكمة بديعة أو هندسة غريبة، إلا إذا كانوا المقصودين بها والمرجوين لارتضائها، فلولا الأفاضل من سلف الملوك لضاعت علوم كثيرة وبطلت حكم جليلة"[٥].

وقد كانوا يفرغون الحكماء لشؤونهم. ويجرون عليهم كفاياتهم، حتى نظروا بأنفس مجتمعه، وقوى وافره وأذهان فارغة، فاستخرجوا الآلات والأدوات والملاهي حتى تكون جماماً للنفس وراحة بعد الكد وسرور يداوي فرج الهموم، فصنعوا من المرافق وصاغوا من المنافع.

ولهذا من الشأن قالت أم الإسكندر في دعائها له: "رزقك الله حظاً تخدمك له ذو العقول، ولرزقك عقلاً تخدم ذوي الحظوظ".

وقال الثعالبي في الكتابة وكتاب الملوك: **"ومعلوم أن الكُتاب ساسة الملك، وعماد المملكة وألسنة الملوك وجهابذة الألفاظ، وبأقلامهم تدبر الأقاليم"** [٦].

فقد لعب الملوك والأمراء دوراً كبيراً في ازدهار الفن في إيران وذلك عن طريق إنشاء المجمعات الفنية وجلب الصناع المهرة من كل مكان ولعل من أهم العصور الذهبية التي كان لها دور كبير في ازدهار الفنون هما العصر التيموري والعصر الصفوي وفيما يلي عرض موجز لحقبتين من أهم فترات تاريخ إيران في الحضارة الإسلامية في هذا الشأن.

العصر التيموري: (٧٧١هـ-٩١٢هـ/ ١٣٧٠م-١٥٠٦م)

يعتبر العصر التيموري عصراً ذهبياً في تاريخ تحسين الخطوط فقد شمله بنو تيمور برعايتهم، فالخط دائماً كان هو الفن المفضل والأعظم انتشاراً وشيوعاً في العالم الإسلامي، ونجد أن السيادة لهذا الفن كانت مقامة بواسطة الأمراء والحكام، وكان أيضاً من سر الازدهار والاهتمام الكبير بفن الخط، هو الحظر أو إذا صح التعبير التحريم الإسلامي لفن التصوير المباشر إزاء الإفراط الشركي في صور العباد. ونرى مدى اهتمام الحكام والأمراء بفن الخط حيث كان الحب الخالص لفن الخط هو السمة المميزة لبيت تيمور [٧]في كل فروعه، بل إن تيمور نفسه كان مهتماً بالخط مثلما كان حاله مع الفنون والحرف الأخرى.

فيرجع السبب الأساسي في هذه النهضة الفنية التي ظهرت في العصر التيموري إلى أن تيمور كان شديد الشغف بفن البناء وغيره من الفنون، فعلى الرغم مما شاب فتوحاته من قسوة ووحشية وسفك للدماء، إلا أنه كان محباً للعلماء. فجمع الفنانين وأصحاب الحرف في سمرقند ليقوموا بحركة العمران فيها، وكان لهؤلاء الفنانين والعمال المهرة وأرباب الحرف أثر في إثراء الحياة الفنية، فكان تيمور يعتبر أن أكبر مكسب يخرج به من البلدان التي يفتحها هو استجلابه للصناع وأهل الحرف وأهل الفنون والآداب، ومثال ذلك ما فعله عند فتحه بغداد حيث أمر بإرسال كل الفنانين والصناع والفضلاء من بغداد إلى سمرقند[٨] فنجد هذا الأمير الفاتح يأمر جنده وهم ينهبون أصفهان ألا يتعرضوا بسوء للحي الذي يسكنه العلماء، بل إنه كان يشارك علماء وفلاسفة هراه مشاوراتهم الشرعية، ويبذل العطاء الوفير

لمن كان منهم على خلاف معه في الرأي ووجدناه يبذل جهداً كبيراً لكسب العالمين المشهورين "شمس الدين الفناري"[٩] و"محمد الجزري" إلى صفه فبذل لهم العطايا في ذلك وبالغ في استرضائهم على الرغم مما كان يعلمه من شدة عدائهما له[١٠].

وعلى هذا نجد تيمور بعد أن استتب له الأمر شرع في تجميل عاصمته فقد أعطي اهتماماً بالغاً بتعمير المدن التي استولى عليهاالتكون أقرب إلى عاصمته الملكية، فشيد قصوراً بحدائق حول المدينة، كما شيد معماريو تيمور لنك القصور وأقاموا الأسوار والبوابات والقلاع والحصون والمساجد والأضرحة والمدارس، مما يجدر بنا القول بأن عصر تيمور هو بحق عصر التشييد والعمران الذهبي[١١].

وما يقال عن ازدهار العمارة عند تيمور ينطبق أيضاً على الصناعة والفنون ففي نفس الوقت أعطي تيمور اهتماماً بالغاً بالكتب الأدبية وبخاصة الأعمال التاريخية مثل مخطوط "ظفرنامه" [١٢] المسجل لكم هائل من فتوحاته كما تبقى من فترة عهد تيمور عدد من المخطوطات الأدبية المصورة وهما مخطوط "خواجوى كرماني" المحفوظ في المتحف البريطاني وقد كتب في بغداد سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م. أما المخطوط الثاني فهو نسخة من مخطوط "الشاهنامة" المحفوظ بدار الكتب المصرية [١٣]. تحت رقم (٣٢) ونسخ هذا المخطوط بشيراز سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م. فقد كان عدد من الخطاطين يعيشون في بلاطه مكرمين من أمثال "سيد عبد القادر بن سيد عبد الوهاب "الذي كان يكتب الثلث مثل ياقوت المستعصمي.وقد كتب للأمير تيمور نسخة من القرآن تُعد من روائع فن الخط والتذهيب في العالم.وهذه النسخة النادرة النفيسة محفوظة اليوم في جامع السلطان سليم بإستانبول.

وخلاصة القول إننا نستطيع من خلال المراجع والمصادر أن نؤكد أن ما أراده تيمور لعاصمته سمرقند – هو أن تصبح عروس الشرق – قد حدث فعلاً بجلبه أمهر الصناع والفنانين ورعايته للفن والقائمين عليه بصفه عامة وبذلك يكون قد غرس البذرة التي سيتكفلها خلفاؤه بالرعاية فيما بعد سيراً على نهجه [١٤].

وقد كانت النهاية أن دخل تيمور في غيبوبة في ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م وتلفظ النفس الأخير في معسكره الرئيسي في أوترار عندما كانت جيوشه مستعدة للسير إلى الصين ولم يكد تيمور يوسد الثرى في سمرقند وتنتهي مراسم العزاء حتى انطلق ورثته يتحاربون من أجل التاج وهكذا كانت النهاية لتيمور الذي يذهب فريق من المؤرخين إلى أنه من أعظم ملوك الأرض.

وفى عصر خلفاء تيمور زاد الإنتاج الفني وأزدهر، فالفترات التي اتسمت بالوحشية والغارات المهلكة كانت دائماً متبوعة بفترة من الوقت الهادئ وذلك عندما سار المنحدرون من نسل الغزاة المعتدين عشاقاً ورعاة للفن، فبحلول القرن ٩هـ -١٥م تغير وضع الحياة الفنية في العهد التيموري. وذلك بعد حالة عدم الاستقرار السياسي التي عاشتها البلاد من جراء غارات تيمور الوحشية، وكان العامل الحاسم في ذلك هو الرعاية لكل من الفنانين وأصحاب المهارات والحرف وعلى هذا الدرب سار كل من تيمور وخليفته "شاهرخ " ثم ظهر بعد ذلك دور أحفادهم فأولغ بك كان متحمساً ومهتماً بالفلك وقد شيد المرصد الذي كان يعتبر واحداً من العجائب في ذلك الوقت.

وقد استمرت النهضة الفنية ورعاية الفنانين في هراة بعد "شاهرخ "و"بايستقر" بالرغم من تعرض هراة بعد وفاة شاهرخ (٨٥١هـ- ١٤٤٧م) لظروف سياسية عصيبة، ويدل على استمرار النهضة الفنية في إنتاج المخطوطات، أن هذه النهضة استمرت إلى عهد آخر حكام الدولة التيمورية وهو "السلطان حسين ميرزا بايقرا" فكان هو الآخر أديباً يقرض الشعر، وترجع أهمية عصره إلى الفنانين العظام – ومن أقدم هؤلاء الفنانين الذين وردت أسماؤهم

"روح الله ميرك الخراساني" وترجع أهمية هذا المصور إلى أن بعض المصادر ذكرت أنه كان استاذاً لبهزاد أعظم المصورين الإيرانيين [١٥].

ولكن قبل الخوض في الحديث عن أبرز ملوك العصر التيموري ودورهم في ازدهار الفنون بصفة عامة وفن الخط بصفة خاصة لابد من معرفة كيف وصل الفنانون وخطاطو العصر التيموري إلى هذه الدرجة العالية من الإبداع والإتقان الذي لاحظناه في جميع المخطوطات التيمورية؛ وتتركز الإجابة على هذه الأسئلة في ثلاث نقاط:

١-جلب الصناع:

سبق أن ذكرنا أن تيمورلنك قد جلب العديد من الصناع والفنانين المهرة من كل فن.

٢-مجمع فنون الكتاب:

أما السبب الثاني فيكمن في مجمعات فنون الكتاب ورعاية السلاطين التيموريين للخطاطين والرقابة على منتجاتهم، وبلاشك فقد لعبت الرقابة على الفنانين دوراً مهماً.

والواقع أن المجمعات الفنية التي حرص الأمراء التيموريون على إنشائها كانت سبباً مباشراً في نهضة الفنون الإسلامية بصفة عامة، إذ نشأ في هذه المجمعات ما يمكن أن نطلق عليه فرق جماعية في فنون الكتاب. ومما لا شك فيه أن فن الخط نهض نهضه طبيعية نتيجة ارتباطه بفنون الكتاب من كتابه وتزويق وتذهيب [١٦].

٣-نهضة فنون الكتاب في العهد التيموري:

كان العهد التيموري عهداً مبتكراً وخلافاً في جميع أنواع الفنون لاسيما فنون الكتاب، فقد نسب اختراع خط النستعليق إلى قبله الكتاب "ميرعلي التبريزي" الذي كان في خدمة تيمور وخلفه ابنه"عبد الله" فأتم بعض التفاصيل في هذا الخط الجديد وكذلك ازدهر فن التذهيب في العهد التيموري[١٧].

لهذا كله لم يكن ازدهار فن الكتاب في العهد التيموري ووصوله إلى القمة بل وظهور أعظم خطاطي ومصوري إيران في ذلك الوقت و"كمال الدين بهزاد" بالأمر المستغرب إذا وضعنا في الاعتبار الثراء الفني لإيران. فضلاً عن ظهور معاهد لفنون الكتاب لإنتاج المخطوطات ولتدريب الفنانين على إنتاجها. وفيما يلي عرض لملوك العصر التيموري الذين لعبوا دوراً كبيراً في ازدهار فنون الكتاب.

النهضة الفنية في عهد شاه رخ:

ازدهرت الامبراطورية التيمورية أيضاً على أيدي "شاهرخ". فقد كان على عكس أبيه. فكان محباً للسلم مبتعداً عن شرور الحروب ومآسيها حريصاً على تقوية الدفاع عن بلاده وجعلها منيعة على أي طامع فيها. وقد امتاز بثقافة عالية وكان كذلك مولعاً بالعلوم والفنون يرعاهما مع التزامه الصارم بتعاليم الشريعة الإسلامية. فرحل إليه العلماء والفلاسفة والشعراء وعاشوا تحت رعايته.

هذا وقد أولى "شاهرخ" هو الأخر اهتماماً كبيراً بتشييد المباني والمنشآت. فقد كان مشروعه الرئيسي هو إعادة البناء لمدينة هراة[١٨]. حيث أمر بإعادة البناء لأسوار المدينة والقلعة التي اكتملت في سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥هـ/ ١٤١٦م. كما أنه أعاد بناء الأسواق مثل البازار الذي كان في وسط المدينة والذي أدى إلى انتعاش المدينة بالحركة التجارية والاقتصادية القوية [١٩].

وإذا انتقلنا إلى دور شاهرخ المؤثر في الفنون بصفة عامة وفن الخط بصفة خاصة. نجد أن الأمراء التيموريين في غمرة حروبهم الطويلة وجدوا وقتاً لرعاية الفنون الجميلة، فنجد شاهرخ بالإضافة إلى كل من أبنائه "أولغ بك" و"بايسنقرميرزا"[٢٠] و"إبراهيم سلطان" وكذلك واحد من أبناء [٢١]. إخوانه وهو "إسكندر سلطان" في شيراز وآخرين متعددين

شجعوا كلاً من المصورين والخطاطين والفنانين ليعملوا جيداً داخل ورشة عمل منظمة أو ما يسمى بـ "الكتابخانه".

شـاه رخ وتأســيسه للـمجمع الـفني:

يبدأ العصر الذهبي لفن الخط حيث وصل فن إنتاج الكتاب الإيراني إلى أزهى عصوره، ومما ساعد على تقدم [فن *الخط*] هو تأسيس شاهرخ لمجمع علمي جمع فيه الفنانين من كافة أنحاء دولته، ومكتبته في هراة حيث تعاون الوراق والناسخ والمذهب، قصاص الورق وصانع الأصباغ والمصور والمجلد على إنتاج مجموعة من أروع الكتب التي ظهرت في العالم.

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، فنجد أن شاهرخ استولى على خزائن وفناني مجمع "إسكندر سلطان " بعد خلعه من حكم المدينة [٢٢]. فحصل على خزائنه الثمينة والتي كانت تضم بين نفائسها المخطوطات القيمة. وفى نفس الوقت نقل الخطاطين والفنانين الذين عملوا لإسكندر إلى حاضرته الجديدة مدينة "هراة".

وفى هذا السياق نجد أنه ينسب لشيرار تحت رعاية الأمير إسكندر في تلك الفترة عدد من المخطوطات الهامة المنفذة بمجمعه منها:

١-نسخة من كتاب "شاهنشاه نامه" أو ملحمة تيمور.

٢-كما ينسب له أيضاً مخطوط مجموعة الكواكب.

هذا وكان يعمل في بلاط اسكندر مجموعة من أشهر الخطاطين منهم "معروف البغدادي " فكان من بين فناني مجمع إسكندر الفني وكان معروف هو الخطاط الرئيسي في هذا المجمع[٢٣].

نلاحظ أن المخطوطات التي أمر شاهرخ بإنتاجها كانت في معظمها نصوص تاريخية. فنراه أمر المؤرخ "حافظ أبرو"[٢٤]. بالبحث عن المخطوطات القليلة الباقية من كتاب "جامع التواريخ " لرشيد الدين" [٢٥] وذلك في محاولة منه لتحقيقه وحفظه من الضياع. وقد بقيت ثلاث مخطوطات من كتاب "جامع التواريخ" تحمل خاتم مكتبه " شاه رخ ". منها ذلك الجزء المحفوظ الآن في المتحف البريطاني.

وكذلك جزء من المخطوط محفوظ بمكتبة(طوبقابوسراى) وله أهمية خاصة ويرجع السبب في ذلك إلى أنه أضيفت إليه في عهد "شاهرخ" منمنمات جديدة في مواضع لم تكن بها تصاوير في المخطوط الأصلي الذى أنجزه مرسم الرشيدية.

ومن بين الأعمال التاريخية الباقية لشاهرخ مخطوط " كليات التاريخ" كما نجد أنه كلف حافظ أبرو "بترجمة العمل الجغرافي العربي، وهو فيه وصف لأقاليم العالم الإسلامي بشكل كبير على حد سواء [٢٦]. كما تنسب أعمال لشاه رخ بعضها مخطوطات شعرية نسخت وزينت بأمر منه ولمكتبته الفنية من بينها "خمسه نظامي" المؤرخة بسنة ٨٣٥هـ/ ١٤٣١م.

وهكذا نلاحظ الدور الكبير الذي لعبه شاهرخ، فقد نجح في تدعيم فن إنتاج الكتاب في عاصمته هراة كما نجح في وضع بذور الرعاية الفنية في حاضرته ليحصد إنتاجها الجيل التالي، مما مكنا من رؤية عدد من الأمراء الخبراء في فن الخط والتصوير. أضف إلى ذلك العدد الهائل من المخطوطات المنفذة تحت رعايتهم.

الأمير بايسنقر:

لا يغفل أحد دور الأمير بايسنقر كراعي للفنون، وقد فاق دور كل من والدة شاهرخ في مدينة هراة واسكندر سلطان في شيراز. وعلى الرغم من أن المنية وافته في سن مبكرة إلا أنه لعب دوراً لا يقل أهمية في الشئون السياسية والفنية، وقد كانت شيراز هي بداية الظهور لأسم بايسنقر في الحياة الفنية. وذلك على المخطوطات والكتب المصورة.

فلم تقطع فنون الكتاب مراحل تطورها الكبيرة إلا مع مثل هذا التشجيع الذي أبداه بايسنقر، فقد لعب دوراً كبيراً في رعاية وتدعيم فن إنتاج الكتاب في العالم عامة ومدينة هراة خاصة في تلك الفترة.

كان معروفاً أيضاً بالسلطان "بايسنقر بن بهادرخان" وهو ذاك الأمير الذي لعب دوراً مهماً كرجل سياسة وراعى للفنون والعمارة، كما كان هو نفسه خطاطاً من الدرجة الأولى وأحياناً كان يسبق أسمه لقب "معز الدين" (٢٧).

كان بايسنقر شغوفاً بالفن بل كان هو نفسه خطاطاً وشاعراً راعياً للفنانين والفنون في عصره، لذلك يعد من أعظم رعاة العلوم فقد كانت مكتبته في هراة المركز الحقيقي لفن الكتاب يعمل بها ٤٠ خطاطاً مشهوراً فارتقى الخط و الكتابة منذ ذلك الوقت. وماتبع ذلك من تجويد الخط والتذهيب والتصوير والتخريم.فلم يرتق الخط والكتابة في أي عهد من العهود، ولم ينتشر في زمن من الأزمان. ولم تكتب الكتب النفيسة في أي وقت، مثلما كان في هذا العصر.ولاتوجد من النسخ المكتوبة في عهده سوى نسخ قليلة جداً في مكتبات إستانبول.

فقد أظهر منذ طفولته نزوعاً لفن تزيين الكتب. تتلمذ بايسنقرميرزا في خطوط الأقلام الستة على يد "شمس الدين محمد بن حسام الهروي "المعروف بـ "شمس". فقد اهتم اهتماماً كبيراً بتعلم أصول وقواعد فن الخط. ونبغ في الخط حتى عد من الأساتذة الكبار في خط المحقق والثلث. فقد اهتم بايسنقر اهتماماً كبيراً بتعليم أصول وقواعد فن الخط. كما عنى بتزيين المخطوطات بالصور فبفضله انتقلت الزعامة الفنية في التصوير من شيراز إلى هراة.

حيث اهتم بايسنقر اهتماماً كبيراً بتعلم أصول وقواعد فن الخط على يد عدد من تلاميذ "ياقوت المستعصي". ومن ثم فإنه تعلم الخطوط الستة ذات الحروف المتصلة التي تم ممارستها بواسطة الخطاط ياقوت (٢٨)، ومن ثم أصبح بايسنقر أستاذاً ومعلماً للأساليب الستة المختلفة في الكتابة لذا نجده يحمل على عاتقه تنفيذ الزخرفة الخطية في المسجد الجامع المشيد بأمر من أمه في مشهد وذلك قبل تغطيته بالقرميد وكانت الكتابة بخط الثلث ذات لون أبيض على أرضيات وخلفيات زرقاء شاحبة مع كتابات بالخط الكوفي المبعثر. ومن وجهة نظر الإيرانيين، فإن الأساتذة الأربعة في الخطوط الأربعة هم: في الثلث الأمير بايسنقر،وفى النسخ ميرزا أحمد التبريزي وفى التعليق مير عماد وفى الشكسته درويش عبد المجيد الطالقانى.

بايسنقر وتأسيسه للمجمع الفني:

هذا الأسلوب الجديد في تجميع الفنانين من مختلف الأرجاء لكي يعملوا في مجامع فنية منظمة قد بلغ ذروته في مدينة هراة، حيث كان بايسنقر متيم بفكرة تكوين وامتلاك مركز لإنتاج الكتاب.

مما لا شك فيه أن هذا المجمع المعروف بالكتبخانه لعب دوراً كبيراً في تطور فن الخط وغيره من فنون الكتاب. فالرعاية التي حظي بها الفنانون من قبل الأمراء والحكام،وخير نموذج لهذه الرعاية شاهرخ وأبناؤه أولغ بك وبايسنقر وابراهيم سلطان وابن أخيه إسكندر فكل هؤلاء شجعوا الفنانين لكي يعملوا داخل الكتبخانة.

لقد لعب بايسنقر دوراً في تطوير الحياة الفنية ولعل هذا كان السبب في اعتباره واحداً من أعظم محبي كتب الأدب وجامعيها. وخير شاهد على ذلك أنه سار على نفس التقليد الذي سبقه فيه جده تيمور وأبيه شاهرخ من حيث رغبتهم في جلب الفنانين الموهوبين والصناع المهرة من كل أنحاء إيران ليعملوا في مراكز فنية تحت رعايتهم مما كان له عظيم الأثر في وجود العديد من تلك المراكز الفنية في مدن إيران عامة وهراة خاصة. حتى

عُد بايسنقر مؤسساًلأروع مدرسة لتزيين وتذهيب الكتب، وقد فاق عدد ما أنتج في زمانه من الكتب النفيسة ما أنتج فى أى عصر آخر.

قبل أن يشرع بايسنقر في بناء مجمعه الفني، أرسل من قبل أبيه(شاهرخ)لتبريزفي سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م وذلك كحاكم لها والاستيلاء عليها من يد " القراقوينلو[٢٩]. وهناك اكتشف مجموعة من الفنانين والناسخين والخطاطين الذين عملوا من قبل في خدمة السلطان "أحمد جلائر". وبعد أن عين حاكماً أو نائباً لأبيه في مدينة هراة نقل معه هؤلاء الخطاطين والفنانين والمذهبين ومجلدي الكتب من تبريز إلى هراة حيث كانوا هم نواة المجمع الذي شيده في هراة قد استقر بها حتى وافته المنية [٣٠].

وعندئذ بدأ التأسيس للمجمع الفني والذي كان يضم مرسماً، كما كان يضم على الأقل أربعين خطاطاً عملوا بنشاط تحت قيادة هذا الناسخ الشهير "جعفر بن على التبريزي". فمن بين الخطاطين الذين استجلبهم معه من تبريز إلى هراة، الخبير الشهير في خط النستعليق "جعفر التبريزي" والذى تتلمذ على يد "ميرعلي التبريزي" المخترع لخط النستعليق، والذى أصبح رئيساً لأشهر مكتبة تخصصت في النسخ والتزويق في ذلك العصر. وسرعان ما نال لقب البايسنقرى نسبة إلى الأمير "بايسنقر بهادرخان" [٣١]. وكان من شدة اتقان جعفر واهتمامه بخط النستعليق أن فاق مخترعه ميرعلي ومن الأعمال المنسوبة لجعفر:

١- **مخطوط الملمعات:** وهو يعد من الأعمال المؤرخة والموقعة بواسطة بايسنقر وهو عبارة عن ديوان الشعر "لحسن دهلوي" المنسوخ في سنة ٨١٥ – ٨١٦هـ.

٢- **مخطوط خسرو وشيرين:** من الأعمال التي تنسب إليه أيضاً ويؤرخ بسنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م المحفوظ بأكاديمية العلوم بلينجراد والموقع عليها باسم بايسنقرى[٣٢]

٣- **شاهنامة بايسنقر:** تعد من نسخ الشاهنامة النفيسة والقيمة بخط النستعليق كتبت عام ٨٨٣، وهو محفوظ في مكتبة قصر گلستان.

ومثلما جلب بايسنقر الفنانين من تبريز وغيرها من البلاد، نجد أنه بعد وفاة "إسكندر سلطان " ابن عمه جلب بعض الفنانين الذين عملوا لأبن عمه في شيراز. فقد تم تعينه نائباً لأبيه، وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت مجموعة فناني مكتبة اسكندر تحت تصرف بايسنقر، ومن المعروف أن اسكندر كان نفسه راعياً كريماً لفنون الكتاب.

أما الأستاذ الثاني في هذا المجمع البايسنقرى فهو الخطاط "حسام الهروي" الملقب "بشمس الدين" والذي علم بايسنقر نفسه الخط. وقد قام بنسخ مخطوط "گلستان سعدى" المحفوظ في مكتبة شستربيتىبدبلن والمؤرخ بسنة [٨٣١هـ/ ١٤٢٦-١٤٢٧م] لبايسنقر. وأصل هذا الفنان من شيراز وقد أطلق على نفسه البايسنقر أو السلطاني[٣٣].

فقد لعب هذا المجمع الفني في هراة دوراً كبيراً في تطور فن الخط. فيذكر أنه استخدم خمسين فناناً لنسخ المخطوطات-كمانجد أن بيسنقر نفسه تحمل على عاتقه اهتمام شخصي بعمل خطاطيه-فكان بايسنقر تلميذاً "لعبد الله بن ميرعلي" أشهر خطاطي إيران. واستطاع أن يضم إلى حوزته أمهر سادة العصر وذلك عن طريق دفع الأجور العالية وبذل الهدايا الثمينة لهم، ولكن من الثابت أن هذا المجمع الفني المقام في مدينة هراه كان يضم ٤٠ خطاطاً ومصوراً ومجلداً وحرفيين أخريين تحت قيادة وإشراف أستاذ الخطاطين جعفر التبريزي.

الأعمال الخطية المنسوبة لبايسنقر:

كان العصر التيموري هو العصر الذهبي في تاريخ تحسين الخط بإيران والذي شمله بنو تيمور برعايتهم، فكان الأمير "بدر الدين" أحد وزراء تيمور من أعلام الخطاطين في

عصره. وقد ظهر في العصر التيموري نوعان آخران من الخط وهما الخط الديواني[٢] والخط الدشتي.

أما إذا انتقلنا لبايسنقر فنجد أنه قد بقى عدد من النماذج الخطية المنسوبة إليه، منها أكبر مصحف مخطوط في العالم بخط المحقق وهو أحد الأعمال الفنية النفيسة.وهذا المصحف كتبه بايسنقر وهو يعد من عجائب الخطوط في العالم. وما تزال بعض صفحاته محفوظة في متحف العتبة الرضوية ٥٤ ورقة، وباقي الورق في مكتبات متفرقة من العالم. كتبه في أبعاد ١٨ × ١٠٥ سم.

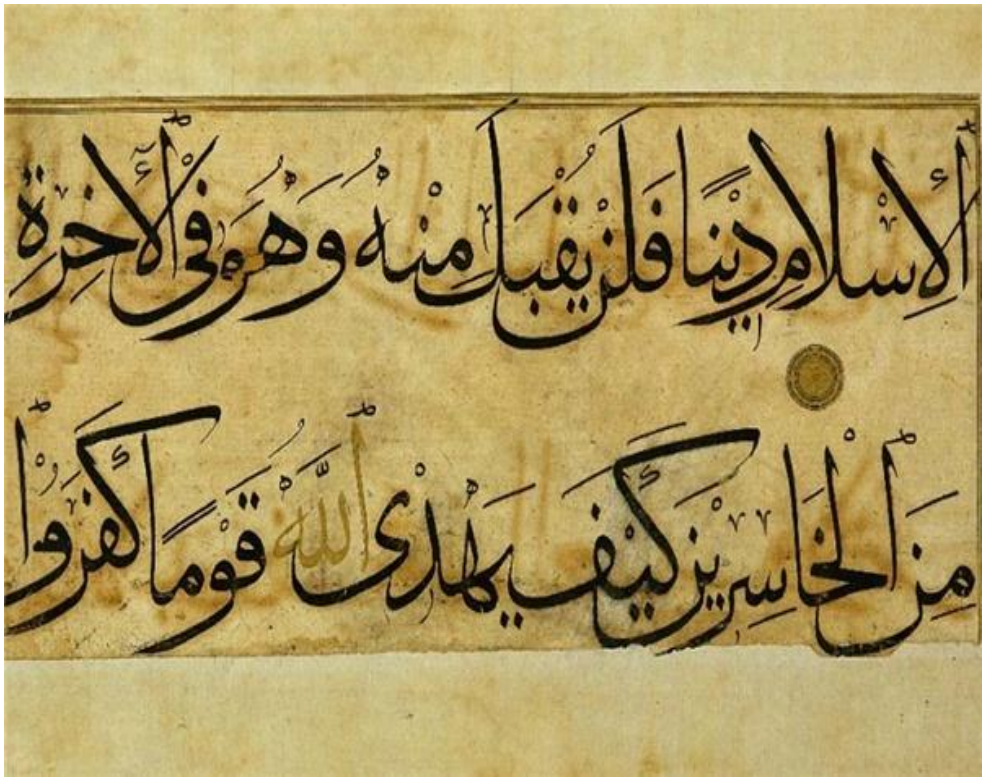

(صورة من مصحف بايسنقر الموجود بالعتبة الرضوية)

ومن أعماله الفنية أيضاً نقش كتابي بخط الثلث على طاق مسجد "گوهرشاد" في مشهد. وهذه اللوحة الفنية الرائعة التي انجزها وهو في العشرين من عمره تحكى اقتداره وقوة قلمه.

كما بقي لنا عدد من نماذج الخط المنسوخة بيد بايسنقر، وهي محفوظة في البومات متحف "طوبقابوسراى" بإستانبول مع [ألبوم الخطاطين السبعة الأساتذة]، في حين أننا نمتلك وثيقة شهيرة غاية في الأهمية حيث أنها بينت بشكل أكثر وضوحاً ذلك الدور الذي لعبه الخط في الحياة التيمورية الثقافية. وهذه الوثيقة موجودة أيضاً في إستانبول، وهي عبارة عن مجموعة خطوط تكرر المثل أو القول العربي المأثور [من خلال الشكر تدوم النعم] والمنسوخ بواسطة" أحمد رومي" بخط التوقيع والذي أقره بايسنقر و١١ آخرين، البعض منهم كانوا من المقررين كأعضاء من الكتبخانة الأميرية. وهذه الوثيقة تعد تذكار من الحياة الاجتماعية لهؤلاء الأمراء في تلك الفترة [٣٥].

كما نجد أيضاً عدداً من الأمراء في البيت التيموري كسبوا السمعة والصيت كخطاطين، وأعمالهم الباقية تبين السهولة الكاملة للتقليد الخطى المستخدم؛ فنجد مثلاً "إبراهيم سلطان" قد كتب دواوين شعرية بالفارسية بخط يده والتي كانت منسوخة من قبل بواسطة "يا قوت" إلا أننا نجد أن "إبراهيم سلطان" نسخ الكتابة وأدخلها فيها وباعها ولا يستطيع أحد أن يبين الاختلاف بينهما، والي اليوم لا تزال النقوش التي كتبها على المباني والمساجد والمدارس في إيران، باقية شاهدة على مهارته في هذا الفن(٣٦).

وبعد فإن رعاية الفنانين وإنشاء المجمعات الفنية التي قام بها كل من تيمور مؤسس الدولة التيمورية وخلفاؤه قد أتت ثمارها في هذا العهد فقد تطورت الفنون الإسلامية في هذا العهد بشكل ملفت للنظر. ومن أهم أفرع الفنون الإسلامية التي تطورت في هذا العهد وأثرت في غيرها من الفنون الإسلامية، فنون الكتاب. حيث اشتملت هذه الفنون على فن الخط والتذهيب والتصوير الإسلامي والتجليد.وكان من أعلام الخطاطين في العصر التيموري: الأمير بدر الدين التبريزي –آلتونتاش–ميرزا جعفربايسنقرى التبريزي-شاهزاده بايسنقر-عبد الله الطباخ الهروي- عبد الله بياني –معروف البغدادي-شمس الدين بايسنقرى-بايسنقر ميرزا-السلطان أبراهيم ميرزا-أسد الله الكرماني-كمال الدين حافظ الهروي.

وهنا وجب الإشارة إلى أنه كان نتيجة تطور فنون الكتاب في هذا العصر ظهر الاهتمام بالورق وكان طبيعياً أن تنمو صناعة الورق الثمين فتوصل الإيرانيون في القرن [٩هـ-١٥م] إلى أن يصنعوا منه أنواعاً فاخرةمن الحرير والكتان. فعنوا بضغطها وإكسابها بعض الألوان وتلميعها لتليق بدواوين الشعر اللطيفة التي كانت تكتب عليها واشتهرت بعض المدن مثل تبريز بأنواع ممتازة من الورق. وكانت مراسيم الدولة وأوامر السلاطين والأمراء تكتب على أنواع معينة منها. ولاسيما على ذلك النوع الرخامي الشكل الذي اختصت إيران بإنتاجه. والذي امتاز بما فيه من تموج وتعاريج وعروق تجعله يشبه المرمر.

العصـر الصفـوي:

يعد العصر الصفوي من أزهى العصور التاريخية التي مرت بإيران. فهو يمثل إعادة بناء دولة إيرانية قومية تمثلت في إحياء الروح القومية مرة أخرى. ويتفق المؤرخون على أن قيام الدولة الصفوية [٩٠٧هـ/ ١٥٠٢م] كان نقطة تحول كبيرة في تاريخ إيران والشرق كله فلأول مرة يعلن المذهب الشيعي الاثنا عشري مذهباً رسمياً لكل إيران(٣٧).

يعتبر العصر الصفوي من أرقى عهود الخط وأكملها، ولاسيما الثلث والنستعليق.فقد كان جميع الملوك والأمراء متعلقين بالخط، وبلغ بعضهم مرتبة الأستاذية.وقد حفل بلاطهم بكبار الفنانين ولقوا لديهم كل حفاوة.فكان هذا التقدير دافعاً إلى نشر الفنون جميعاً وإلى بروز عدد من أعلام الخط ولاسيما النستعليق والثلث.ومن هؤلاء:محمد مؤمن الكرماني-نصير المنشى –المير عبد القادر الحسيني الشيرازي -الصحيفي الجوهري-عبد الباقي التبريزي-على رضا التبريزي-محمد صالح الأصفهاني-محمد رضا الإمامي الأصفهاني – محمد حسن بن محمد رضا الإمامي.

وإذا انتقلنا للحديث عن الفن في العصر الصفوي. نجد أن العمارة والفنون الزخرفية الإسلامية بصفة عامة. قد نالت رعاية واهتمام ملوك الأسرة الصفوية في إيران. وكان لفنون الكتاب بصفة خاصة والتي تتضمن فن الخط والتذهيب والتصوير والتجليد النصيب الأكبر من هذا الاهتمام والدليل على ذلك هو كثرة عدد المخطوطات التي أنتجت. وهذه الكثرة العددية لهذه المخطوطات تؤكد بالطبع على أن ملوك الأسرة الصفوية ساروا على نهج خلفائهم من التيموريين من حيث رعايتهم للفن والفنانين (٣٨).

ولم يقف الأمر عند هذا بل إن أسلوب المدرسة التيمورية انتقل إلى المدرسة الصفوية وهو أمر طبيعي. فمعظم فناني الدولة الصفوية، فنانون تيموريون، فقد تم القضاء على مجمع فنون الكتاب في هراة. ولابد أن معظم فناني هذا المجمع قد انتقلوا إلى بلاط الدولة الصفوية – تلك الدولة الجديدة الراعية للفنانين – ومن المؤكد أن هؤلاء الفنانين كان لهم الدور الأكبر في نقل تأثيرات الفنون التيمورية إلى الفنون الصفوية بصفة عامة وفنون الكتاب بصفة خاصة.

فقد وصلت فنون الكتاب إلى أوج نموها في بداية العصر الصفوي. وكان وراء هذا الازدهار والنمو عدة أسباب – ففضلاً عن رعاية ملوك هذه الأسرة للفن بعامة وفنون الكتاب خاصة، وتلك التأثيرات التيمورية والتركمانية والتي ترجع إلى أن العاصمة الأولى للملوك الصفويين وهي تبريز، كانت فيما سبق حاضرة التركمان، وكان طبيعياً أن تنتقل التأثيرات التركمانية إلى الصفويين.

لكن أبرز تلك الأسباب على الإطلاق هي تلك المراكز الفنية والتي لعبت دوراً كبيراً في العصر التيموري. فقد نشأ بداخلها مجمعات فنية تحوي فرق عمل جماعية من خطاطين ومصورين ومذهبين ومجلدين كل يعمل في مجال تخصصه. ويرجع الفضل إلى نشأة هذه المجمعات تحت رعاية الأمراء التيموريين. فورث الصفويون هذا النظام ولم يكتفوا بهذا بل زاد اهتمامهم بفنون الكتاب (٣٩).

وكان من جراء ذلك الاهتمام أن زاد عدد المراكز الفنية في إيران في هذا العصر فقد كانت زيادة عدد المراكز من الأشياء التي حرص عليها الصفويون منذ بداية عهدهم. فعندما انهزمت الأسرة التيمورية الحاكمة في خرسان سنة ٩١٦هـ/ ١٥٠ م على يد الشاه " إسماعيل الصفوي" مؤسس الدولة الصفوية نجده ينقل المجمع الفني للكتاب الذي كان في هراة أيام "شاهرخ" و"حسين بايقرا"إلى تبريز. وذلك بانتقال الفنان "كمال الدين بهزاد" ومعه نخبة من الفنانين إليها حيث أسس مدرسته الفنية لتدريب النشء من هواة الفن. فأصبحت تبريز مركزاً لتعاليم بهزاد في المرتبة الأولى وهراة في المرتبة الثانية (٤٠).

وعلى هذا يلاحظ كيف حرص الصفويون على عدم إغلاق [هراة] المركز الفني الهام في عهد التيموريين على الرغم من أنه كان من السهل عليهم إغلاقه.

في أثناء عصر الحكم الصفوي في إيران اشتهر بوجه خاص خط الشكسته ووجد رواجاً واسعاً. وهو خط متسارع في كتابته، صعب التمييز، ومع ذلك صار الخط المعتمد عليه في المكاتبات الرسمية وكتابة الرسائل (٤١).

وفى عهد الشاه "إسماعيل الصفوي"(٤٢) أولى اهتماماً كبيراً بالفنانين والشعراء والخطاطين والمصورين. كما اهتم بزيادة المراكز الفنية. وذلك تجلى في استيلائه على المدن التي كانت مراكز النشاط الفني في الفترات السابقة مثل "تبريز" التي كانت عاصمة الإيلخانين في القرن ١٤م وعاصمة لآل جلائر في أواخر هذا القرن. حيث كانت من أهم مراكز الثقافة والفن. كما اتخذها " أوزون حسن" زعيم الآق قوينلو سنة ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م عاصمة له بدل من دياربكر ونقل إليها النشاط الفني وقد أبقي على هذه المراكز تمارس أنشطتها الفنية كما كانت من قبل ليس ذلك فحسب بل إنه وحد بين هذه المراكز وأصبحت جميعها تعمل على نمط فني واحد. فاختفت كثير من الاختلافات الفنية الإقليمية التي كانت موجودة في العصر التيموري.

وقد كانت المكتبة الملكية في عهد هذا الشاه والتي عين "بهزاد" مديراً لها في عام ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م تضم عدداً كبيراً ممن عينوا في مختلف الوظائف من خطاطين ومصورين ومذهبين ورسامي هوامش (مجدولين) ومتخصصين في سباكة الذهب وخلطة وفى تصفية اللازورد إلى غير ذلك. وجميعهم يخضع لإدارة بهزاد (٤٣).

وليس أدل على رعاية الشاه إسماعيل لفنون الكتاب من قيامه باستكمال بعض الأعمال الفنية التيمورية. ومن أمثلة ذلك نسخة من مخطوط مزوق من [داستان جمال وجلال] لمحمد آصفي. قام بنسخها الخطاط "سلطان على" في هراة عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م. كما تشهد بعض المخطوطات التي انجزت بمدينة تبريز في عهد الشاه إسماعيل رغم قلتها على مقدار اهتمام هذا الشاه بفنون الكتاب ومن الأعمال التي تشهد على ذلك نسخة من مخطوط "قران السعدين" لخسرو دهلوي" مؤرخة بسنة ٩٢١هـ/ محفوظ في مكتبة طوبقابي سراي باستانبول رقم٨٧١ (٤٤).

فقد اشتهر الشاه إسماعيل بأبهة بلاطه، كما كان يقرض الشعر ويرعى الفنون وتحت رعايته هو وابنه الشاه طهماسب، تم انجاز واحد من أروع مخطوطات "الشاهنامة".

الشاه طهماسب" [٩٣٠-٩٨٤هـ/ ١٥٢٤-١٥٧٦م]

هو ابن الشاه إسماعيل الصفوي. كان راعياً أيضاً للفن والفنانين وللأدب والأدباء – فازدهر في عهده فن التصوير وفنون الكتاب. وغزر إنتاج المخطوطات. كما ينسب إليه بعض الأعمال الفنية التي كتبها بلغة الأدب في عصره وهي اللغة الفارسية (٤٥).

ولعل طول مدة حكم هذا الشاه قد أتاحت له الفرصة لرعاية المرسم الفني والعاملين به من كبار الفنانين والمتدربين بل ومتابعة الكثير من الأعمال الفنية، وقد مارس الشاه طهماسب التصوير بنفسه ورعى الفنانين رعاية عاهل وفنان معاً.

ولم يقف حب الأمير الصغير عند حد الاهتمام بفن التصوير الذي خصص له وقت فراغه كله، بل نجده يعمل جاهداً على تعلم فن الخط حتى غدا خطاطاً ماهراً.

وقد كان لنشأة الشاه طهماسب أكبر الأثر في تلك الميول الفنية. فقد عين في عام ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م. كحاكم على هراة. وقت أن كانت هراة مركزاً للإشعاع الفكري والفني. كما أنه تلقى تعليماً راقياً في مختلف فروع العلم. بما فيها فن الكتابة والزخرفة بألوان ساطعة والمنمات. وفى سنة ١٥٢٤م تقلد كرسي الشاه. وظل يولي الفنون اهتمامه. بالمشاركة مع شقيقه "بهرام ميرزا".

غير أن اهتمام الشاه طهماسب بالفنون قد توقف في منتصف الخمسينات من القرن السادس عشر الميلادي. عندما قام بنقل عاصمته من تبريز إلى قزين وفى تلك الحقبة انزوى طهماسب في عزلة دينية، هذا بينما قصد بعض الفنانين إلى بلاط أفراد وأمراء آخرين من البيت الملكي الصفوي. في حين هاجر البعض إلى الهند المغولية. وفريق ثالث بقى يمارس فن الخطوفنون الكتاب والتصويركمستقلين، أملاً في إنتاج أوراق مزخرفة تجذب اهتمام أثرياء القوم (٤٦).

في أثناء حكم الشاه طهماسب. صار خط النستعليق هو الخط الرسمي لكتابة المقتطفات الأدبية، والملاحم والكتابات الأدبية (٤٧).

وفي نفس الوقت أنتج الورق في أوروبا والصين والذي أصبح متاحاً في أسواق إيران. مما أدي إلى بطلان احتكار الورق من قبل الحكام. فشجع توفر الورق في الأسواق،الخطاطين إلى نشر مدارسهم الخاصة. بعد أن تحرروا من سطوة الحكام وقيودهم. فأصبح لديهم حرية في التعبير عن ذاتهم. وقد شهد هذا العهد ظهور توقيعات الخطاطين كجزء أساسي على اللوحات.

ويدل على اهتمام الصفويين بالفن والفنانين أن الشاه إسماعيل الثاني [٩٨٤هـ - ٩٨٥هـ/ ١٥٧٦-١٥٧٧م] كون في خلال مدة حكمه الضئيلة مجمعاً فنياً جمع فيه عدداً من الفنانين مثل [نقدى] الذى كان أقرب المقربين للشاه إسماعيل(٤٨).

كذلك نالت العمارة والفنون رعاية واهتمام في عصر [الشاه عباس]. فبالنسبة للعمارة فقد شيد الكثير من العمائر كمسجد لطف الله وقصر عالي قابو وغيرها حتى أنه كان بأصفهان عند وفاته ١٦٢ مسجداً و٤٨ مدرسة و١٨٢ وكالة و٢٧٣ حماماً.

كذلك نالت فنون الكتاب في عهد الشاه عباس اهتماماً كبيراً، فقد عنى بجلب الفنانين إليها ممن يشتغلون بفنون الكتاب من الخطاطين ومصورين ومذهبين حتى غدت أصفهان في عهده مركزاً هاماً للفنون وأصبحت مكتبتها الملكية ومرسمها الفني يضمان العديد من الفنانين الموهوبين من ذوي الخبرات المختلفة.

والواقع أن فنون الكتاب ازدهرت كثيراً في عهد الشاه عباس. فقد احتلت أصفهان مكان الصدارة بين المدن الإيرانية جميعاً منذ اتخذها الشاه عباس الأول العاصمة الصفوية. مما أدي إلى التفاف الكثير من المشاهير الإيرانيين حول البلاط الملكي في أصفهان تحت رعاية ملوك وأمراء الدولة الصفوية.

وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، أصبح للأوراق المخطوطة سوق معروفة في إيران. فالخطاط "ميرعماد" عندما بعث له الشاه عباس سبعين تومانا مقابل أن يخط له نسخة من الشهنامة. لم يرسل "ميرعماد" سوى سبعين بيتاً من الشهنامة، فردها إليه الشاه مرة أخرى رافضاً هذه الصفقة. فسارع ميرعماد بقص هذه الأبيات وباعها في الأسواق وجمع السبعين تومانا في الحال وردها إلى الشاه. فهذه الحادثة تثبت أن الورق المخطوط لم يكن مفضلاً عند الملوك ولم ينل إعجابهم. ففضل الشاه عباس المخطوطات الكاملة واهتم بالكم والحجم بدلاً من الاستماع بالخط الجميل.

وفى النهاية نلاحظ كيف أثمرت رعاية ملوك الأسرة الصفوية للفن والفنانين ثمارها. فقد ازدهرت كافة الفنون الإسلامية بصفة عامة وفنون الكتاب جميعها بصفة خاصة. وبعد انقراض الدولة الصفوية سنة١١٣٥هـ توالت الأحداث الجسام والحروب والفتن على البلاد، وشغلت الناس ولم يبق في هذه الحقبة غير عدد زهيد من الخطاطين. غير أن الخط أخذ يستعيد مقامه بدءاً من القرن الثالث عشر الهجري.

Abstract

Care of kings and their impact on the development of the line

By Iman Mokhtar Said

This research deals with the great role played by the kings and princes of the dynasty of Timurid and Safavid in the development of "the art of calligraphy."

Calligraphy has played a very important role in the artistic life; and it have its own sanctity as it related to writing the Quran.

Researcher divided this research into an introduction and two parts, the first part deals with the Timurid era, and the second part deals with the Safavid era.

The researcher presented in each part the flourishing of the artistic life and the evolution of the art of calligraphy with the most important calligraphers in these periods and presented its most important business.

Researcher has been followed the historical approach, and relied on the Persian and Arabic sources and references.

الهوامش

[١]- محمود عباد الجبوري، خط وتذهيب وزخرفة القرآن الكريم في عصر ابن البواب، ط١، بيروت، ص ١٤٢.

[٢]- زكي محمد حسن، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي،القاهرة، ١٩٤٠م، ص ٦٣.

[٣]- الثعالبي هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ولد سنة ٣٥٠هـ في نيسابور، كان عربي الاصل شافعي المذهب، أختار مهنة تأديب الصبيان وسيلة للعيش ولعلها أقصر الطرق إلى حكام وأمراء عصره توفي في ٤٢٩هـ في نيسابور / بعد أن عاش ٨٠ عام رفد خلالها المكتبة العربية بروائع أدبية.

[٤]- أدب الملوك: من أهم كتب الثعالبي، ألفه لمأمون بن مأمون الملقب بخوارزم شاه في مدينة الجرجانية بين سنتي ٤٠٣-٤٠٧هـ. وقد أودعه خلاصة تجارية في التأليف.

[٥]-الثعالبي، آداب الملوك، تحقيق: جليل العطية، ط١، ١٩٩٠، ص ٣٩.

[٦]-المصدر السابق، ص ٤٠.

٧-هو الملك تيمور المعروف بتيمور لنك. قائد أوزبكي من القرن ١٤. ومؤسس السلالة التيمورية في وسط آسيا وأول الحكام في العائلة التيمورية الحاكمة (١٣٣٦–١٤٠٥)

٨- سامح فكري طه البنا، فن التجليد في العهد التيموري، رسالة ماجستير، ٢٠٠٣، ص ٥

٩- شمس الدين الفنارى: هو محمد بن حمزة بن محمد (٧٥١-٨٣٤ه/١٣٥٠-١٤٣١) عالم المنطق والاصول وقال ابن حجر كان المولى الفنارى عارفا بالعلوم العربية وعلم البيان والمعاني وعلم القراءات كثير المشاركة بالفنون.

١٠-المصدر السابق ،ص٦

١١-أسامة البسيوني عبد الله، المدرسة التيمورية في هراه تحت رعاية الأمير بايسنقر دراسة أثرية فنية، رسالة ماجستير، ٢٠٠٩، ص ٦.

١٢- كما يعرف أيضاً بكتاب النصر لشرف الدين على يزدي والذي أعيد تصويره في العصر الصفوي في شيراز سنة (٩٢٩هـ/ ١٥٢٣)ويضم ١٦ منمنمة.

١٣-المصدر السابق، ص ٧.

١٤-سامح فكري طه البنا، فن التجليد في العهد التيموري،ص ٦.

[١٥]-أسامة البسيوني عبد الله، المدرسة التيمورية في هراه تحت رعاية الأمير بايسقر دراسة أثرية فنية، ص ٣٦.
[١٦]-سامح فكري طه البنا، فن التجليد في العهد التيموري، ص ١٢٨.
[١٧]-المصدر السابق، ١٢٩.
[١٨]-لا يمكن أن نغفل هنا ونحن نتحدث عن "شاه رخ" دور زوجته "جوهر شاد خاتون" والدة الأمير بايسنقر. فنجد أن أول عمل لها كان الترميم للمزار الخاص بالإمام الرضا فى مشهد، وفى نفس الوقت أوقفت أموالاً على الجامع الكبير في مشهد حول مقبرة الإمام الرضا والتي أصبحت مكاناً لحج الشيعة ،كما عهدت إلى المهندس المعماري "قوام الدين شيرازي لبناء عدد من المبانيالفخمة أحدها مسجدگوهو شاد" الذي استغرق بناؤه ١٢ سنة.
[١٩]-أسامة البسيوني عبد الله، المدرسة التيمورية في هراه تحت رعاية الأمير بايسقر دراسة أثرية فنية، ص ١٠.
[٢٠]-ايسنقر هو فنان و من الامراء التيموريين (٨٠٢-٨٣٧).نصب عام ٨٢٠ وليا للعهد ولكنه لم يحكم ،تنبأ له المنجمون انه لن يعيش اكثر من أربعين عاماً .وعندما بلغه ذلك ،غرق فى شرب الخمر ليلاً و نهاراً فى الحديقة التى يطلق عليها أسم الحديقة البيضاءفى هراة .توفى عام ٨٣٧-١٤٣٣م وعمره خمس و ثلاثون.
[٢١]-المصدر السابق، ص ١١.
[٢٢]-هذا الأمير كان لديه من العمر في ذلك الوقت حوالي ٣٠ سنة. وقد صار من أكثر رعاة الفن في تلك الفترة كرماً. ونجد دعم بلاطه في شيراز لكثير من الفنانين الذين أنتجوا العديد من المخطوطات.
[٢٣]-أسامة البسيوني عبد الله، المدرسة التيمورية في هراه تحت رعاية الأمير بايسقر دراسة أثرية فنية، ص ١٢.
[٢٤]-حافظ أبرو: كان من بين المثقفين الذين التحقوا ببلاط "شاه رخ" المؤرخ "شهاب الدين عبد الله الكرماني" المعروف بحافظ أبرو. ولد في هراة ولكنه تلقى تعليمه في همدان ووجد الرعاية وحصل على العطف من تيمور الذي كانت اهتماماته الأدبية تاريخية. وقداصطحبه معه في عدد من غزواته، وبعد وفاة تيمور التحق ببلاط شاه رخ بهراه.
[٢٥]-يؤرخ هذا المخطوط بسنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م.
[٢٦]- المصدر السابق، ص ١٤
[٢٧]- المصدر السابق، ص ١٤.
[٢٨]-المصدر السابق، ص ٢٢.
[٢٩]-قبيلة من التركمان حكمت في شرق الأناضول، اذربيجان، القفقاس وبعض الأجزاء من إيران والعراق سنوات ١٣٨٠-١٤٦٩
[٣٠] - أسامة البسيوني عبد الله، المدرسة التيمورية في هراه تحت رعاية الأمير بايسقر دراسة أثرية فنية، ص ٢٤.
[٣١]-المصدر السابق، ص ٢٥.
[٣٢]- المصدر السابق، ص ٣٠٩
[٣٣]- المصدر السابق، ص ٣١٤.
٣٤-الخط الديواني أو السلطاني هو أحد الخطوط العربية، سمى بالديواني والسلطاني نسبة إلى ديوان السلطان العثماني. حيث كان هذا الخط يستعمل في كتابة المراسلات السلطانية.
٣٥- المصدر السابق، ص ٣٣.
[٣٦]-المصدر السابق، ص ٣٣
[٣٧]- تنسب الدولة الصفوية في الأصل إلى الشيخ "صفي الدين الأردبيلي" [٦٥٠- ٧٣٥هـ/ ١٢٥٢- ١٣٤٣م] وتزوج حفيد الشيخ صفي ويدعي "حيدر " بأحد بنات السلطان "أوزون حسن" سلطان التركمان أصحاب الشاه البيضاء "الآققويونلو" فأنجبت منه ثلاثأولاد وهم: [سلطان علي، وإبراهيم ميرزا وإسماعيل] وهو مؤسس الدولة الصفوية بإيران.
[٣٨]-سامح فكري البنا، فن التجليد في العصر الصفوي – رسالة دكتوراه – كلية الآثار، جامعة القاهرة – ٢٠٠٨-ص ١٠.
[٣٩]-المصدر السابق، ص ٢٢٣.
[٤٠]-المصدر السابق، ص ٢٢٤.
[٤١]-هبة نايل بركات، أنغام وآيات، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ١٨.

٤٢-نشأ الأمير الشاب "إسماعيل الصفوي" [١٥٠١-١٥٢٤] وترعرع تحت رعاية السلطان "على ميرزا". وهو حفيد "أوزون حسن" القائد المرموق لجامعة [القراقوينلو] التركمانية. كما أنه كان وريثاً لثروة وزعامة الطبقة الصوفية الدينية. وأيضاً لمزار " أردبيل"المشهور. مع حلول القرن ١٦م، قام هذا القائد الشاب ببناء جيش من اتباعه وأطلق عليهم القزلباش.
٤٣-سامح فكري طه البنا، المصدر السابق، ص ٦.
٤٤-المصدر السابق، ص ٢٢٥.
٤٥-المصدر السابق ص ٧.
٤٦هبة نايل بركات، أنغام وآيات، ص ١٥.
٤٧-المصدر السابق ص ١٨.
٤٨-المصدر السابق، ص ٢١.